مستوحى دانتزيو

كنت فى العشرين أو نحوها من العمر ، لما استقل دانتزيو نسافةً الى فيومى فاحتلَّـها لانه كان يعارض فى تسليمها لغير ايطاليا . فهزنى هذا العمل من شاعرٍ ، وكنت أتصور ان الاقدام الحربى على حلّ المشكلات السياسية ليس من خلق الشعراء . فكتبت يومها مقالا بعنوان « الشاعر الجندى » وما زلت أحرص من ذلك الحين على الالمـام بحياة شاعر ايطاليا العظيم . فقرأت نتفاً عن حوادث حبّـهِ وغرامه ، وطالعت ما تيسرت لى مطالعته بالانكليزية من كتاباته وجمعت نبذاً من أخباره ، فلما طلب الىَّ الصديق الدكتور أبوشادى كتابة كلمة لمجلتهِ رأيت أن أوافيها بشىء عن دانتزيو فى صومعتهِ .

على قمم الآكام الحرجاء المطلة على شواطىء ريفيرا جاردونى وبحيرة جاردا بايطاليا بيت غريب يقطنه رجل ينـدر أن تقع على رجل أغرب منه أطواراً . ويعرف هذا القصر فى أندية العالم الادبية باسمهِ المختصر — وهو الفيتوريالى . وليس قاطنهُ بأقل شهرة منهُ لانه يجيب إذا ناديت جبرائيل دانتزيو - دانتزيو الشاعر والجندى، الطيار والفنان ، المتقشف والمادى ، الناسك والعـاشق ، رجل العـمل ورجل الخيـال والاحلام .

ولاريب فى أن دانتزيو من أغرب المعاصرين أطواراً ، ومن أشد الشخصيات المعروفة تعقيداً ، والقصر الذى جعلهُ مستوحاهُ يعكس لك أنواراً من حياتهِ ، ويمثل شخصية صاحبهِ أفضل تمثيل ، ففيه يلتقى العالمىُّ بالصوفى ، والروحى بالجسدى ، و المادى بالكمالىّ ، فيحتدم النزاع بينها للسيطرة على القصر وصاحبهِ .

ففى الفيتوريالى تجد تمثالاً للزهرة الى جانب صور للعذراء ، وآلهة الوثنيين تمشى جنباً الى جنب مع القديس فرنسيس الاسيزى ، وشعائر المسيحية من سلام ومحبة

فؤاد صروف

تحاذيها مذكرات الحروب وشارات القوة والبطش ، وآثار الابهة والفخامة فى جوار علامات الزهد والتنسك ، واحدث ما أخرجته الفلسفة المادية يعانق أحلام الروح وأشباح الخيال . على أن فى اجتماعها اتساقاً واندماجاً ، حتى لتحسب القصر نفسه لمحة من لمحة الخيال ، بل كأنه حلم شاعر ، تصوّره ناسك وبناه جندى ، يشرف عليهما جبّار يستطيع أن يدمج الاجزاء فى كل متسق منسجم .

هنا اختار دانزيو أن يقضى سنى حياته الاخيرة ، وفى هذا القصر يعيش بعيداً عن الناس ، والظاهر انه يفاخر به أعظم المفاخرة ، ويعده أتمّ طريقة أعرب بها عن ذات نفسه .

أن روحه الحائرة استقرت هنا ، ولكنه مازال يتابع ـ مع أنه أوفى على السبعين ، ويدعو نفسه عاملاً من عمال الكلام فقط ـ العناية بطبع كل مؤلفاته ووضع سيرة حياته والاشراف على بعض الصناعات اليدوية ، فى حوانيت صغيرة بناها لذلك خاصة فى حديقة قصره .

واليك ما كتبهُ عن قصرهِ الى صديقهِ الروحى وزميله فى الحرب والسلام السنيور موسولينى إذ انبأهُ باهداء هذا القصر الى الامة الايطالية . قال : « أعيش واعمل وألحن فى عزلة الفيتوريالى ، واعنى بجدرانه بنفس العناية التى أوجهها لكل صفحة من صفحات كتاب لى . فكل غرفة نظمتها ، وكل أثر من الآثار التى اقتنيتها يمثل فى نظرى طريقة من طرق الاعراب والافصاح عن الذات . هنا ذكرياتى ، ومحبتى وكتبى ، وأحلامى . لقد أسست هنا مسرحاً فى الهواء الطلق وانشأت مدارس ومعامل لاحياء الفنون والصناعات الايطالية القديمة . هنا اطرق الحديد ، وانفخ الزجاج واطبع بقطع من الخشب ، واحفر فى العظام ، واقطر العطور .. و.. و..، وكما وهبتُ من قبل كلّ ما قدم لى أهب الآن كلّ ما أقتنى » .

* * *

وليس دانتزيو مبالغاً إذ يقول انهُ يعيش بمعزل عن الناس ، إذ ليس اندر من الذين يؤذن لهم فى تخطى عتبة بابهِ ، واندر من ذلك خروجه من بيته أو الحديقة التى تحيط به . وقد شوهد أحياناً يسير وحده فى طريق مهجور من طرق الريف مرتدياً رداءَ قائدٍ فى سلاح الطيران الايطالى ، حاسر الرأس ، ولكن ذلك قليل . وإذا لجّ بهِ حبُّ الحركة ، هبط الآكام الى البحيرة حيث له سفينة كانت قبلاً من مطاردات الغواصات وهى السفينة التى طارد بها فى فبراير سنة ١٩١٨ إحدى السفن النمسوية . ويقال إنه هو الذى اطلق على هذا الطراز من السفن اسمه الخاص (MAS) وهى الحروف الأولى فى الكلمات الثلاث من المثل الايطالى المشهور (Mememto Audere Semper) تذكر دائماً أنه تُقدِم .

على أن عزلة دانتزيو ليست وحدة وانفراداً ، فله اتباع كثيرون وخدم وحشم . وهناك الكونت ماروني المثّال الذى اتمّ المعجزة بتحويل الفيتوريالى من كوخ حقير الى قصر فخم ، وهو يعيش فى بيت خاصّ به فى احدى نواحى الحديقة ، ويتبعه جيش من الحدادين والفخارين وصانعى الزجاج وغيرهم .

* * *

أما المعيشة فى القصر فعيشة نسك بوجه عام. فكلّ من سكانه حتى الخدم والحشم يدعى باسم جديد ، هو اسم ناسك إذا كان رجلاً أو اسم راهبة إذا كانت سيدة . ويتقدم الاسم « فرا Fra » أى أخ للرجل أو «سور Suor » أى أخت للسيدة . وغرف القصر سميت كما تسمى غرف دير . وكل سكانهِ يتناولون الطعام معاً على مائدة طويلة

يجلس دانتزيو على رأسها كأنه رئيس الدير . فبعد الصلاة ، يتقدم الخدم وهم مرتدون ثياب النساك ، حاملين قصاعاً تحتوى على طعام ، غاية فى البساطة ، كأنه أكل الصوامع.

ومع أن دانتزيو يعيش معيشة راحة ، من الناحية الجسدية ، إلا أن شعلة التوليد فى دماغه لا تخبو ، ولكنه يشتغل كلما طاب له الشغل فقط . فقد يقضى اسبوعين لا يخط كلمة واحدة ، ثم تليها فترة اسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، يصبح فيها عبداً لملكة التوليد ، يطيع أوامرها حتى لقد يشتغل أحياناً نحو ١٦ ساعة كل يوم ! فاذا هبط عليه الوحى ، دخل مكتبهُ — وهو يدعوه معمل عامل الكلام — ومن ثم لا يسمح لاحد أن يدخل عليه ولا هو يخرج منهُ إلا ليتناول شيئاً من الطعام أو حظاً من الراحة . أما طعامه فى هذه الاحوال فقليل جداً ، لانه يعتقد أن تيار الافكار يكون أصفى وأنقى إذا كانت المعدة فارغة ، بل انه يبدأ فترات العمل النشيط بصيام ، وفى أثناء ذلك لا يتناول إلا طعاماً قليلا مرة فى اليوم ، ويؤثر العمل فى الليل ، فيجلس أمام مكتبه حتى ينبلج الفجر .

وهو الآن يعنى بطبع مجموعة كاملة من آثاره العلمية فى ٤٤ مجلداً مبوّبة كما يلى :—

(١) اشعار الحب والمجد
(٢) الروايات النثرية
(٣) المآسى والدرامات
(٤) كتابات متفرقة

وينتظر ان يتم طبعها فى أواخر هذه السنة . وقد اكتتبت الحكومة لهذا العمل بستة ملايين ليرا إيطالية ، وهى عناية منقطعة النظير ، إذ لم يعرف من قبل ، ان حكومةً اشتركت فى طبع مؤلفات كاتب حيّ !

* * *

أما العناية التى يبذلها دانتزيو فى تصحيح الكتب قبل طبعها فتفوق الوصف . فانه يراجع تجارب الكتاب ثلاث مرات قبل ان يسمح بالطبع ، يضاف الى ذلك انه ينقح تنقيحاً دائماً مؤلفاته القديمة والحديثة ، حتى يبلغ بها درجة الكمال الأدبى ، كما يراها . وقد قيل انه قد يسهر ليلة بكاملها ليعيد كتابة جملة واحدة . وقيل انه قد يقضى أسابيع ، يناقش فيها طابع كتبه — وهو عالم أديب — بالرسائل والتلغرافات ، فى لفظة فردة !

ويحسب دانتزيو انه نال جزاء هذا النصب اذ يشعر إنه اخرج شيئا كاملاً .
ومع ذلك فالكلمة الفردة التى نقشها على مدخل داره هى : « الراحة » !

فؤاد صروف

عن شخصية شوقى بك

لمّا كانت لى صلة وثيقة بالمغفور له شوقى بك وكان يعطف على مجهوداتنا فى « جماعة الأدب المصرى » و « رابطة الأدب الجديد » وكنت فى حياته أراه كل يوم تقريباً فى الاسكندرية اثناء اصطيافه فانّ من الواجب علىّ أن أعلّق بشىء من الملاحظات على أقوال بعض حضرات النُّقّاد تبرئةً لذمتى وانصافاً لذكرى الفقيد العظيم .

على محمد البحراوى

فقد ذكر حضرة الدكتور طه حسين ما يُفهم منه ان شوقى بك كان متأثراً بمنافسته لحافظ ابراهيم بك وانه من أجل ذلك قصَّر فى واجب التعزية اثر وفاته ، والحقيقة أن شوقى بك كان شبه محتضر فى ذلك الوقت ، وفوق ذلك فالرجل بطبيعته يجزع من المآتم والجنازات بل من الوجوه الجديدة اذا ما فوجىء بها مفاجأة افذهابه الى قبر حافظ هو بمثابة حكم بالاعدام عليه ، وهذه مسألة لا يعرفها إلا خاصة أصدقائه وطبيبه. وقد جاءت مرثيته لحافظ آية من آيات البيان العربى ومن لوعة العاطفة القوية والموسيقى الحزينة ، كما تخللها الدفاع عن خلقه وكرامته ، فمن العجيب بعد ذلك أن ينعت الدكتور طه حسين هذه القصيدة الرائعة الجامعة بأنها « فاترة » ، ولكنّ فن الدكتور النقدى لم ينهض هذه المرة لأنه لم يستطع أن يقدم لنا برهاناً واحداً على فتورها وهى التى كان لها صدى عظيم فى جميع النفوس .

الدكتور طه حسين

وأشار الدكتور زكى مبارك الى اعتزاز شوقى بك بشعره ، وانه كان يصادق ويخاصم على هذا الأساس. وهذا صحيحٌ فى جملته، ولكن من الانصاف أن أقول إن الفقيد كان متأثراً الى حدٍ كبيرٍ ببيئته، وقلما وُجد من أفرادها من يخطّئه بصراحة. فلما وُجد بجانبه من الأفاضل من كان يجرؤ على ذلك أحياناً مثل الدكتور سعيد

عبده (راجع مقاله التأبينى فى مجلة « روز اليوسف ») كان شوقى بك يرضخ للنقد أخيراً ويستفيد منه . وهذا ما وقع فعلاً فى (جمعية أبولو) فانّ نظامها ونظام مجلتها خالفا تماماً ماكان يألفه شوقى بك طول حياته الأدبية : فقد حُرِّمتْ فيها الألقاب الطنّانة لأول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية ، وعملت الجمعية على مقاومة شعر الحفلات والتطلع الى الشعر الفنى وحده . وماشَى شوقى بك هذه الحركة التجديدية بسرور وارتياح وغيرة ، وعُنى بها أعظم عناية فى أيامه الاخيرة . ولذلك كانت فجيعة (جمعية أبولو) بفقده عظيمة فوق مصاب العالم العربى بأسره . ومن هذا يُستخلص أن كراهية شوقى بك للنقد الأدبى لم تكن ترجع الى طبيعة نفسه بقدر ما كانت ترجع الى تملّق حاشيته السابقة أو افراد منها إياه ، فقد كانوا يتظاهرون بأنهم ملكيون أكثر من الملك ، وكانوا يستغلون ذلك التظاهر أيما استغلال !

وقد أشادت هذه المجلة بالاثر الطيب الذى كان للاديب الفاضل احمد افندى عبدالوهاب سكرتير شوقى بك فى خلق جو صالح من المحبة حوله ، وهذا حق . وسيذكر الادباء لعبدالوهاب افندى هذه الحسنة دائماً . وكان من أثر ذلك حَدَبُ شوقى بك على الادباء العاملين أو المغمورين بعد ان كان يُتّهم بعكس ذلك سابقاً ، فرأيناه يبعث بكتاب رائع من الادب والعطف الى وزير مصر المفوض فى باريز معالى فخرى باشا توصية بالشاعر المصرى النابه محمود أبو الوفا. ورأيناه يبعث بكتاب نبيل مطوّل الى الدكتور أبو شادى مشيداً بروحه التجديدية الرائدة ، بالرغم من المساعى التى كان يبذلها سابقاً وسطاء السوء للتفرقة بينهما .

ومع اعتكاف شوقى بك فان كلماته وتصريحاته كان لها مدًى بعيد من التأثير والوقع، وأمثلة ذلك أمامى عديدة . ومن أغربها فى إحدى جلساته قُبيل صدور مجلة (أبولو) اطراؤه لمؤسسها بحيث شغل الجلسة كلها تقريباً فى التنويه بالدكتور أبوشادى ومناحى عبقريته وجهوده وتضحياته وروحه المتسامحة . وقال فيما قال : لو كان والده حياً لكان مثله وزيراً فى حكومة وفدية ..... وسرعان ما ذاعت هذه الكلمة فى الثغر ، حتى إذا وفد الدكتور الى الاسكندرية بعد ذلك أدهشه بل ذَعره أن يجد فى استقباله على المحطة جمعاً غفيراً من أدباء الثغر ووجهائه وبعض مندوبى الصحف وأحد المصورين أيضاً مما كان شبه مظاهرة غير منتظرة ! ومما يزيد من قدر شوقى بك فى هذه المناسبة أن مبدأ الدكتور أبوشادى فى مخاطبته كان دائماً مبدأ الصراحة التى

المغفور له

احمد شـــوقى بك

فى شيخوختـه

سنّها ابنُ حزْم بقوله : صديقُكَ من صدَقَك لامن صدَّقكَ ، فلم تكن هناك أيةُ مجاملة خدّاعة بينهما .

وأشار بعض الكتاب الى أنانية شوقى بك التى كانت لا تقبل أىّ ضرب من المنافسة ، ثم ذهب الدكتور زكى مبارك الى أن شوقى بك يَعنى نفسه ولا يعنى حافظ ابراهيم بك بقوله فى مرثيته لحافظ :

ما حطّموكَ وإنما بكَ حُطّموا　　من ذا يُحطّم رفرفَ الجوزاء ؟!
أُنظرْ ! فأنتَ كأمسِ شأنُكَ باذخٌ　　فى الشرقِ ، واسمُكَ أرفعُ الاسماء

والحقيقة أن هذا الخطاب موجَّه الى حافظ ابراهيم بك نفسه كما يدلّ سياق القصيدة دلالةً صريحةً . وفوق ذلك فان شوقى بك كرر أمامى وأمام أصدقائى استغرابه لتظاهر المازنى ورفقته بالدفاع عن حافظ وهم الذين حاولوا تحطيمه من قبل فكانت النتيجة وبالاً عليهم ، واعتبر تصرفهم الاخير محاولة مصطنعة للنيل منه (شوقى بك) تحت ستار الحماسة لحافظ . فهذا التصريح من شوقى بك هو نفس المعنى المتضمَّن فى بيتيه المشار اليهما .

انى لم أرافق شوقى بك إلا فى شيخوخته ، وهذه صفحة أمينة من مذكراتى عنه ، ومن الصعب علىَّ الحكم على نفسيته فى أدوار سابقة حتى أقول ما له وما عليه، ولاأحبّ مجاراة غيرى من النقّاد فيما أجهله ، ولكن من الانصاف للتاريخ أن أسجّل هذه السطور عما أعرفه معرفة أكيدةً فيما أُثيرَ البحث حوله . ولا يتسع المقام الآن لأكثر من هذا القدر ، وربما كانت لنا عودة الى هذه الذكريات الغالية ؟

علی محمد البحراوی